مجلة مشكلات الحضارة
المجلد 10 العدد 2 السنة 2022 ص ص:70-88
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

أمّة الإسلام L'islamité (ترجمة)

عميرة لطيفة*

جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2

تاريخ الاستلام: 22 / 11/ 2022 تاريخ القبول: 15 / 12/ 2022

Abstract:

Through his article tagged "Nation of Islam", Kariba al-Nabahani uses a special concept of the word Islam. Islam does not mean religion as a worship, not even as a culture, but as the group of peoples that represent it in a world where it has lost its place.

Al-Nabhani then asks how the nation of Islam can be free from its limitations and emerge from its cocoon to achieve its human upliftment. Islam becomes psychological cleansing, self-sufficiency, optimism and beauty. In the view of its affiliates, Islam is the principle and the reference, the spiritual homeland and the community surroundings.

*المؤلف المرسل: عميرة لطيفة

البريد الالكتروني: latifaamira66@yahoo.fr

مجلة مشكلات الحضارة

Keywords: Nation of Islam, People's Group, Liberation, Upliftment, Spiritual Homeland.

ملخص:

يستعمل كريبعة النيهاني من خلال مقاله الموسوم ب "أمّة الإسلام"، مفهوما خاصا لكلمة إسلام، إذ لا يقصد بالإسلام الدين بوصفه عبادة، ولا حتى بوصفه ثقافة، لكنّه يقصد جماعة الشعوب التي تمثله في عالم أضاعت فيه موضع قدميها.

ثمّ يتساءل عن سبل تحرّر أمّة الإسلام من قيودها، والخروج من شرنقتها لتحقيق رقيّها الإنساني، فيصبح الإسلام تطهيرا نفسيا واكتفاء ذاتيا ونزعة تفاؤل وجمال، علما بأنّ الإسلام في نظر المنتسبين إليه هو المبدأ والمعاد، والوطن الروحي والمحيط المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: أمّة الإسلام- جماعة الشعوب- التحرّر- الرقي- الوطن الروحي.

أمّة الإسلام[1]، نيهاني كريبعة[2]

تعتبر أمّة الإسلام ماهية وطبيعة في الوقت نفسه، حيث ينمو المسلم في كنفها بسلاسة مثل السمك في الماء والطير في الهواء. لا يستطيع الغرباء عن الإسلام أخذ فكرة دقيقة عن أمّة الإسلام بقدر ما يربكهم المسلم من خلال ردود أفعاله غير المتوقعة والموجهة ضد نظامهم الذي يرفضه، وإن بدا له منطقيا.

فالغاية، إذن من شرحنا لأمّة الإسلام هذه والدفاع عن مقوماتها وتبيان فاعليتها وعالمية رسالتها، هو الإجابة عن التساؤلات التي تراود فكر الغريب، وسنتبين المعنى الحقيقي للأمّة الإسلامية من خلال تناولنا لها في ضوء الإسلام والمسلمين.

أولا- المعنى المركب للإسلام:

1- **الكُتل:**

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

لاحظنا من خلال رسالتنا للدكتوراه الموسومة بـ "الإنسان" أن العالم الإنساني اليوم ينقسم إلى عدّة كتل.

أ- الكتلة الغربية:

تضم الكتلة الغربية كل من أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفياتي، ومن يساندهم مثل استراليا وزلندا الجديدة وجنوب إفريقيا، بالإضافة إلى اليابان المتغرب رغم محافظته على روحه الاسيوية. تتميز هذه الكتلة بالتقنية والثقافة العقلانية والصناعة أكثر من تميزها بالعرق واللغة والدين، وهي تسيطر على العالم سياسيا وخاصة اقتصاديا لكونها الأكثر تطورا وغنى وقوة.

ب- كتلة الجنس الأصفر:

يتمثل في الصين الواعد الذي سيلتحق حتما باليابان المتطور تقنيا إذ يجمعهما، بالإضافة إلى العرق واللغة، نمط حياة واحد، ونظرة واحدة للكون مصدرها حكمة السلف.

ت- الكتلة الهندية:

يجاور القطب الهندي كتلة الجنس الأصفر بحكم تواجده في الجزء الجنوبي الشرقي لآسيا، بالإضافة إلى تأثيره على البلدان المجاورة له غربا بفضل روحانياته وزهده.

ث- كتلة الجنس الأسود:

تتمركز كتلة الجنس الأسود في إفريقيا، ويتميز بقربه من الطبيعة وامتلاكه لطبع وحركية خاصة به.

ج- الكتلة اليهودية:

يتميز هذا القطب بالتجانس والتلاحم والتأثير الكبير على الإنسانية بالرغم من قلة عدده.

مجلة مشكلات الحضارة

ح- الكتلة الإسلامية:

تشمل الكتلة الإسلامية كل المسلمين في العالم بأسره، والذين يعدّون بمئات الملايين ويتواجدون في الصين والاتحاد السوفياتي، يمثلون أندونيسيا وباكستان وأفغانستان وإيران وتركيا بالإضافة إلى الشرق ونصف إفريقيا. زد على ذلك مسلمي الجنوب الشرقي لأوروبا والشرق الأوسط.

يتكلم المسلمون لغات مختلفة، لكن توحدهم اللغة العربية لأنها اللغة الأساسية، وينتمون لمجتمعات متنوعة ولكن يجمعهم الإسلام المتضمن في القرآن والسنة النبوية، كما نلاحظ وجود عوامل موحدة لهؤلاء المسلمين رغم اختلاف مشاربهم، مثل التقارب الذي يظهر جليا من خلال الممارسات الأساسية والمشتركة بالنسبة لجميعهم، وبعض الظروف المناخية وأنماط الحياة والمستوى الثقافي، زد على ذلك الطبيعة والتربية ورؤيا للعالم وفق قالب مشترك.

رغم تخندق الإنسانية في هذه الكتل إلا أنها تتداخل فيما بينها، إذ لم تظهر للأعيان يوما على هذا الشكل الذي نراه اليوم. سنتفحص الآن تطور الإسلام منذ ظهوره.

2- مراحل التطور الإسلامي:

أ- العصر الجاهلي:

كان العرب في العصر الجاهلي- أي قبل الإسلام- وثنيين، إلا أنّ هذه الفترة كانت مهيأة لاستقبال الإسلام لتمكّن العرب من اللغة العربية شعرا ونثرا ومدحهم لفضيلتي الكرم ورجاحة العقل. سادت الطبقية في مجتمعهم وهيمن الشرك في أوساطهم وحظيت طبقة الأشراف بكل الامتيازات. كما انتشرت اليهودية والنصرانية وعمّت طقوس من إيران واليمن، وهو ما جعل الجزيرة العربية ملتقى للحضارات.

ب-صدر الإسلام:

بقدوم الإسلام، أقام محمد(ص) ﷺ عقيدته، واسترجع الإنسان قدسيته في إطار إيمان واحد ومجتمع واحد نحو تحقيق غاية سامية واحدة ممّا سهّل انتعاشهما معا. وقد انتشر هذا الإسلام، خارج الجزيرة العربية، بعد وفاة رسول الله(ص) بفضل

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الخلفاء الأربعة: أبو بكرو عمر وعثمان وعلي، الذين حافظوا على صفاء مصدره وسموّ فضائله.

ت- الإسلام الوراثي (الملكي):

بدأ الإسلام (الملكي) الوراثي بعد انقضاء عصر الخلافة الراشدة (661/632)م، فاجتاح الحكم الملكي الساحة السياسية في الإسلام وفي مناطق متعددة. حكم بنو أمية من 661م إلى 750م ثمّ انتقل بعدها إلى إسبانيا أين استمر حتى القرن الثاني عشر ميلادي. وقد خلفهم في الخلافة بنو العباس الذي امتدّ من 750م إلى 861م. تلت الحكم العباسي قرون من الفتن الداخلية بالإضافة إلى التهديدات الخارجية من قبل الصليبيين والمغول والأتراك والتركمان. فتولى العثمانيون الحكم في الإسلام إلى غاية بداية القرن التاسع عشر. والجدير بالذكر أنّ الإسلام، خلال هذه المراحل، أصبح حقيقة عالمية، وعرف أوج تطوره الثقافي والسياسي، بالرغم من تراجع قيمه الداخلية بسبب إزاحة العثمانيين للعرب بصفة نهائية.

يمكننا إذن إجراء المقارنة التالية:

جسّد المغول القوّة والعثمانيون التنظيم والعرب الإيمان، وإذا كان تنظيم الثاني قد انتصر على قوّة الأوّل فإنه يبق إذن سوى الإيمان باعتباره الماهية المتعالية.

ث- الإسلام المُنْقَذ: بعد قرون من التراجع والهيمنة و القهر، أوقعت الإسلام بين براثن الجهل و المعاناة كادت أن تفقده وعيه بذاته، استطاع الإسلام أن ينهض في مجاله الجغرافي السياسي بفضل مذاهبه التقليدية، فأُنقذ من العامل الهادم للحضارات.

3- فهم الإسلام:

يعتبر الإسلام حقيقة مركبة وغنية بالمعاني، فإذا كانت كلمة نصرانية تتلاءم مع كلمة إسلامية، فإنّ الإسلام أكثر اتساقا من المسيحية، لكن لا يمكن أن نحصره في

هذه الملاحظة البسيطة، لأنّه بالإضافة إلى الإسلام الدين، نجد الإسلام المجتمع والإسلام الثقافة والإسلام الأيديولوجيا.

ا- الإسلام الدين:

يحتاج الإسلام الدين إلى تحليل معمق:

* أوّلا نستطيع أن نكون مسلمين بممارستنا لأركان الإسلام الخمسة: الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله، إلا أنّ إسلام الظاهر هذا غير كاف.

* ثانيا ينبغي إضافة الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، ممّا يستدعي حضور الضمير.

* ثالثا يجب أن نضيف الإحسان إلى الإيمان، ويتميّز الإحسان بالإخلاص لغاية مشتركة والتضحية بالمال والنّفس والنّفيس من أجل تحقيقها.

* في الأخير، يجب أن يزيّن الإسلام بالاجتهاد أو بذل الوسع من أجل تطوير الذات وإصلاح المجتمع والإسهام في قوّته ونموه.

يمكننا القول عندئذ أنّ الإسلام في ذروته، قد حقّق بامتياز هذه الشروط الوافية والكافية.

ب- الإسلام مجتمع الشعوب:

يعتبر العالم الإسلامي مجموعة شعوب ذات توجه إسلامي بسبب مرورهم بظروف تاريخية متشابهة ومواجهتهم للأخطار الأجنبية نفسها.

إذا أردنا التمييز بينها من حيث اللغة، نجد من ينتمي إلى العالم العربي أي يتكلم العربية، كما نجد الأتراك والإيرانيين والأفغان والباكستانيين والإندونيسيين بالإضافة إلى البربر ذووا اللهجات الخاصة، لكن تبقى العربية لغة القرآن المقدسة والوسيلة الأساسية للعلوم. كما يمكننا تصنيف هذه الأعراق وفق الأنظمة السياسية: ملكية أو جمهورية أو حكم الأقلية.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

إنّ الأحداث المهمة التي تشهدها إحدى هذه الشعوب، تؤثر على البقية التي تتابعها وتنشد السلام المشترك، فهي تجنح إلى رفض أي تأثير أجنبي نظرا للمعاناة التي شهدتها خلال ثوراتها. علما بأنّ الإسلام استطاع أن يجعل من هذه الشعوب أمّة واحدة ذات قيم عالمية لا يحركها سوى الإخلاص والإيمان المحرر. تتميز هذه الشعوب إجمالا في مجالها الجغرافي بمستواها المتواضع تقنيا، وبعمرانها ونمط حياة خاص بها، وزيّها وطبخها، ودور محتشم للمرأة فيها، والصلاة والصيام وخاصة الحج، جامع الميول الفردية نحو الأسطورة الساحرة بيت الله الحرام.

ت-الإسلام الثقافة:

يعتبر الإسلام ثقافة خاصة ومختلفة عن باقي الثقافات لأنّها أنسنت الإنسان الذي انصهر بدوره فيها واندمج معها، فالماهية الإنسانية متواجدة فيها أينما كانت، كما فرضت اللغة العربية نفسها بعظمتها على الوعي الفردي حتى منعته أحيانا من الظهور. يمكننا الحديث إذن عن ثقافة لاهوتية جميلة وبرهانية تمتد حتى إلى الأحكام، وأخرى أدبية ينقصها المسرح الكبير، لأن الفرد في الإسلام يؤدي دورا معينا بعيدا عن الأهواء الشخصية، وثقافة فلسفية وعلمية وقليل من الثقافة الفنية، عدا تلك المرتبطة بالعمران ومختلف المآثر البطولية بالإضافة إلى القليل من الموسيقى التي تطغى عليها الأغاني.

لقد اكتسبت الثقافة الإسلامية، من خلال الأدب العربي ومختلف لهجات المجتمعات المنطوية تحت رايتها، ملكة وطابعا خاصا بها، فلامست الشعر القصصي والحكمة الأخلاقية بفضل الروح الأبيقورية[3] والتصوف، فغنّت للحب وللطبيعة ولتقلب الإنسان أمام سيرورة الظواهر، فانبثق عن ذلك عالم سحري فائق الجمال.

ث- الإسلام الفكراني:

لا يمكننا أن نلتزم الصمت أمام نظرة المسلم لكيفية تسيير شؤون الأمّة الإسلامية، فبعد أن أقام الرسول ﷺ أسس الأمّة الإسلامية، نجدها تلك الأمّة التي تعمل على إقامة العدل انطلاقا من عدل الله (سبحانه وتعالى)، فيجب على الحاكم أن يكون خليفة لله في الأرض، ويعمل على نشر العدل المنصوص عليه شرعا حتى يتخذ مجراه وفقا للقوانين وبعيدا عن الثورة التي يغلب عليها الاستسلام.

لقد بذل كل من الإمام علي (كرّم الله وجهه)، والفارابي، والغزالي، وابن تيمية وسعهم في سبيل الإصلاح السياسي لكن دون جدوى، كما لم تنجح اشتراكية القرامطة وعلمانية كمال أتاتورك في القرن العشرين في زعزعة العالم الإسلامي، أمّا الحركات الإصلاحية الحديثة، فكان تأثيرها على الأمّة الإسلامية كتأثير ذبابة على جسد فيل.

ج- اليهودية والمسيحية والإسلام:

من الجدير بالذكر هنا أنّ تأثير الديانات السماوية كان واضحا على الوثنية التي سبقتها، إذ سلّطت الضوء على عظمة الإله وفسّرت وجود نظام كوني، وأوضحت ارتباط الوعي الفردي بالذات الإلهية، وكشفت آفاق عالم ما بعد الموت المقام الأبدي للروح، كما أعطت الحياة الدنيا بعدا أخلاقيا.

ظهرت اليهودية أولا برسلها دعاة الخلود والمدافعين عن الإنسان ضد الأساطير والاستبداد، فأثّرت طريقتهم الفنية إيجابا على أرواح المؤمنين وأقنعتهم. تلت المسيحية اليهودية، فنشرت وهذّبت هذا الإيمان الذي تغلغل في أرواح الشعوب الوثنية في أوروبا، فنشروا بدورهم الرسالة المقدسة إلى أبعد نقطة ممكنة في القارات الخمس. ثمّ جاء الإسلام لينشر بدوره هذه الرسالة في الجزيرة العربية التي ظلت لفترة طويلة بمنأى عن الوحي.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الديانات ليست متضاربة وإنّما مترابطة فيما بينها إن لم نقل أنّها متكاملة، لكن الإسلام تجاوز محدودية اليهودية وتجريد المسيحية، لأنّ

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الإيمان في الإسلام لا ينحصر في الفرد، بل يتعداه إلى المجتمع وذلك استجابة لمطالب العقل والحس السليم الأكثر فطرة.

ثانيا- المسلم:

1- المسلم كما هو:

يحتفظ كل من ينتمي إلى العالم الإسلامي بأساس مشترك حتى وإن سلبت منه خصائصه العرقية والمحلية والإدراكية، لأنّ هذا الأساس رسّخه فيه رسول الإسلام بصفة دائمة. تلقى الرسول ﷺ الرسالة ببطء قبل نشرها، فنزل الإسلام إذن بالتدرّج على قلب الرسول ﷺ وعمل به أتباعه من بعده.

فلنتصور حالة شعب في القرن الخامس الميلادي، قوم تغلب عليهم البداوة، ذووا حرف بدائية قليلة التصنيع، ذووا حميّة وقدرات متفاوتة دون غاية مشتركة، وخاضعون لعبثية شيوخ القبيلة وللحروب الأهلية. كما حاول اليهود والنصارى نشر رسالتهم المخلّصة أينما حلّوا، لكن ظلت هذه الشعوب تعيش في عزلة دون نظام ولا قانون، تتحكم الصدفة في مصيرهم، فأرجعوا ذلك إلى لعبة الأقدار، فتاهوا في المعمورة وأصبح الإنسان بينهم لا يقتات إلاّ من شغفه.

لمّا ظهر الإسلام أخذ بيد هذه الشعوب وهي في حالتها الخام، وكيّف رسالته وفقا لمطالب طبيعتهم، لذا بقي المسلم اليوم كما كان فيما مضى، ذو ذهنية تتميز بخصائص ذاتية رغم تعلّمه، بفضل الإسلام: الحياة البسيطة بسبب الوسط الشاق الذي عاش فيه والمقاومة التي اكتسبها، لكن عند تحضره يقع في البذخ، علاوة على هيمنة الذكر على الأنثى بسبب قوّته الجسدية التي تؤهله لمواجهة مشاق الحياة، فيكتسب الرجل تجارب تتجاوز من هُم أصغر منه سنّا فيصبح ذا ثقة وعزّة وكرامة.

تكمن القيم إذن في مدى احترام الإنسان للفضائل وحفاظه على عاداته وتقاليده، وتتجلى في التزامه قولا وعملا بمكارم الأخلاق التي تزيّن وتهذّب الطبيعة. تتميز هذه

القيم بالاستسلام للمبادئ المنبثقة من الله والتي تسيّر الإنسانية، فإذا كان ذلك لا يمنع المسلم من أن يعيش لدنياه وكانّه يعيش أبدا، فإنّ الأكثر استحقاقا بالنسبة له هو أن يعيش لآخرته كأنّه يموت غدا.

لا يسمح للمسلم الخروج من هذا الإطار حتى وهو يواجه، في الوقت نفسه، مشكلة تكييف الإسلام مع مستجدات العصر. كيف يمكننا إذن التوفيق معنويا بين مسلم مقيم مؤقتا في الحياة الدنيا يرى أنّ الآخرة خير وأبقى وحضارة ملزمة وحتمية في هذا العالم؟

إنّ طرح إشكالية تقييم الحضارة في الإسلام تجرّ الإنسانية تاركة المسلم وراءها، لأنّ أسلمة المسلم اليوم ترسخ كهوية أساسية متعالية ومرتبطة بالعرق في الوقت نفسه، فهي أساسية باسم الإسلام الذي يعتبر القالب المشترك لمكارم الأخلاق، فيستطيع شعب أو مجموعة من الشعوب الإسلامية أن تقاد من قبل غير العرب، المهم أن يكون عقيدتهم نفسها وأن يلوذ بفاعلية عن مبادئهم، لذلك هيمن الرستميون ذووا الأصول الفارسية على المغرب الأوسط، وتحالف صلاح الدين الكردي مع المسلمين العرب، إبّان الحروب الصليبية، وقاد العثمانيون الأتراك الإسلام لعدّة قرون. يمكننا القول أنّ الأمّة الإسلامية هذه تتخذ أشكالا متعدّدة.

أ- الإسلام القديم:

وهو الإسلام الذي وضعه الرسول ﷺ بعد استكمال الوحي وترسيخ مبادئ الوحدانية بصفة نهائية، فيتأسى المسلمون به في صلواتهم متجهين نحو القبلة وصيامهم وغيرها من أركان الإسلام.

أكّد هذا الإسلام القيّم، بصفة نهائية، فاعليته وانتصاره بفضل مثالية رسوله، فحظي بقبول كل من دخل الإسلام، وظلّ المسدّد التاريخي لضمائر المنتسبين إليه، والمصدر الذي تنبثق منه ذواتهم.

ب- الإسلام العميق:

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

يرتبط الإسلام العميق بميتافيزيقا إنسان مولع بالعدل الذي حرم منه، فيرى في الله الضامن الأعلى والسند المؤهل الذي يلجأ إليه عند شعوره بالحرمان. فوجد المسلم في الإسلام العميق الوسيلة المثلى لخلاص روحه المثقلة بأساطير متضاربة ونظم مبتورة سادت في الشرق القديم. ويرجع، حتى يومنا هذا، في مواجهته لنظام عالمي يمارس عليه كل أساليب القهر، إلى ملجئه الإسلامي أين يجد السبب النموذجي لوجوده، ليصبح هذا الإسلام العميق، بوصفه أنموذجا إنسانيا، يمثّل موطنا دينيا وسياسيا بالنسبة للمسلم لأنّه يمكنه الانغلاق فيه من خلال حدوده الجغرافية والالتزام بعاداته وتقاليده.

ت- الإسلام المعاش:

يعيش المسلم من المهد إلى اللحد، مرورا بالمدرسة والمجتمع ومنتميا إلى الدولة، وفق رزنامة للأعياد التقليدية سواء كان ملتزما بشعائره أم لا، فكلّ مسلم يختن ويتزوج حسب العادات المحلية ويدفن مثل قرنائه. وبغض النظر عن اللغة واللباس، نجد على الأقل تحريم لحم الخنزير والكحول، والامتناع عن التبول واقفا بالإضافة إلى الكثير من الممارسات المتبعة.

أرادت بعض الجهات القطيعة مع حزم العادات الإسلامية كالشباب التركي، بينما دعت أخرى إلى ضرورة التمسك بها مثل الإخوان المسلمين لكن دون أن ينتصر أحدهما على الآخر.

2- تحديد موقع المسلم:

قد يحدّد المسلم لنفسه مكانا وقد يضعه غير المسلمين في موقع مغاير لكن شتان أن تلتقي هاتان النظرتان.

أ- تموقع المسلم:

يبدو لنا أنّ المسلم اليوم شديد التمسك بأمّة الإسلام دون أن يحاول إلقاء نظرة على ما وراءه وما حوله وما بعده، وهذا ما ندركه من خلال الأصول الموضوعة إذ تكفي البطولات الإسلامية المغروسة في كل مسلم، حتى قبل الإسلام، وفروسيته الملاحظة من قبل المستشرق رنان لتقييمه لنفسه.

إذ طبعت قبيلة قريش بأصالتها وفصاحتها وانحدار محمد ﷺ منها كلّ قبيلة دخلت الإسلام وحاولت الوصول إلى مكانتها بين القبائل، ويشهد مجيء الإسلام، لاستكمال باقي الديانات وتوحيد مختلف الشعوب وإقامة حضارة أصيلة، على تفوّقه وأصالته في الوقت نفسه.

فاتخذ المسلم، منذ البداية، الإسلام قالبا له أين تزول كل الفوارق، حتى العدو من الجنس الأصفر الذي دخل الإسلام، نجح في زمانه وتجاوز كل من بيزنطة المسيحية والصين الرجعية والهند المنحطة والغرب الذي لم يولد بعد.

تقولب هذا المسلم في إمبراطوريته الإنسانية التي انتهى بها المطاف بالانهيار ولم يتأثر بالآخر إلاّ في حدود جلبه للماء إلى مطحنته أو تطوير شخصيته المنغلقة. وما زال المسلم إلى يومنا هذا، يحاول التميّز بشدّة عن باقي الشعوب، يلوم غيره ولا يحاسب نفسه لأنّه يتمتع بقوة الإسلام ونظرته الشمولية لعالم جذّاب ومريح، فيحاول وضع قواعد يتبعها حرفيا.

إنّ الأمّة الإسلامية أو طبيعة المسلم في نظري، لا تعود إلى علم الأساطير ولا إلى السلوكيات الاجتماعية بقدر تأثرها بالأناسة[4] والظاهراتية[5] ، لأنّ تشكل شخصية الانسان ترجع بالدرجة الأولى إلى المحيط الذي شكّله عضويا مع الحركية الخاصة به وإلى التركيبة الذهنية لعالمه الخاص الذي يخشى مواجهة الواقع.

يجد المسلم نفسه أمام تسلسل الأحداث المتقلبة وعالم لا شخصي وحقود، خاضع للدهر وتحت رحمته، بالرغم من أنّ الإسلام خفّف من المخاوف الفردية بفضل وجود إله رحيم وعادل ومثيب لدرجة أنّ الكافر في المجتمع الإسلامي يشعر بالأمان في المدينة الإسلامية المسالمة.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

ب- موقع المسلم في نظر غيره:

قد يحكم الفرد على نفسه بصفة ذاتية تارة، وقد يحاكم من قبل غيره بصفة موضوعية تارة أخرى، كذلك الحال بالنسبة للإسلام الذي يخيم هو نفسه داخل روحه المتسمة بأكثر الصفات خصوصية، وقد يختار غير المسلمين له موقعا بتقفي ثغراته، لأنّ الإنسان ينتقد غيره أكثر من انتقاده لنفسه.

تتشبث الشعوب الغربية، وهي الجار المباشر للإسلام والمواجهة له في كثير من الأحيان، بشكل عدواني لا سلمي، بالوجه المتخلف للإسلام متجاهلة عظمته في الزمن الغابر والجوهر الخفي لروحه، فالمسلم المتخلف في نظرهم يتميز بذهنية منغلقة، مناوئة لكلّ انفتاح ومعارضة لكل تطور لا يتماشى وقناعاتها. وترجع هذه النظرة إلى جهل أصيل زادته الحروب الصليبية تعقيدا، بالإضافة إلى سقوط الخلافة العثمانية التي أصبحت رجلا مريضا، فانحطّ الإسلام إثر فقدانه لوحدته وعظمته وعقلا نيته. قام العالم الإسلامي، تحت تأثير السياسة على الذهنيات، بنهضة غير متوقعة من أجل البقاء روّعت الغرب الأوروبي، لكن ظلّ ما بقي من الإسلام متمسكا فطريا بدهره الغابر في حين يعيش الأوروبي روح عصره الحديث.

3- حقيقة العدل:

أ- العدل:

يجب ألاّ ننسى أنّ الإسلام أقام العدل للعرب وللشعوب التي دخلت الإسلام، ويمكن تلخيص هذا العدل على النحو التالي: حقوق الضعفاء والمرأة والأطفال والنخب ومختلف الشعوب ذات المعتقدات المتباينة.

يتوقف تحقيق العدل على الحكام المخلصين لواجبات معقولة تدخل في الاستطاعة الإنسانية، سُنّ هذا العدل بمرسوم إلهي تجسّد في التراث الذي مكنّ الشعوب من الازدهار والعمل المشترك في المدينة الإسلامية، لكن أظهرت تنوع

الخلافة والثورات أنّ هذا العدل يطالب دوما بممثلين يخلفون العاجزين منهم لأنّ الفرد اهتمّ بهذه المسألة اهتماما كبيرا. بقي العدل في غالب الأحيان جامدا في قواعد، فتمثّل في العائلة والقبيلة تارة والأمّة تارة أخرى ثمّ في الإسلام إجمالا، إلاّ أنّه لم يستعمل من قبل ممثليه كما يجب ومن أجل المنفعة العامّة، إذ استحوذت عليه عدّة أعراق ساهمت في اختفائه بسبب نقائصها. فانحصر العدل في الأمّة الإسلامية بعد احتلال الغرباء لأراضيها، إذ عاثوا فيها فسادا وفرضوا عدلهم. ويزداد الأمر خطورة إذا كان هذا العدو هو الجار الأوروبي الذي أصبح قاهر الأمّة بعد أن كان منافسا لها في عدالة الشرق.

ب- أين العدل؟

لم يتمكن الإسلام من الحفاظ على عدله بسبب ممثليه وليس شعوبه، فَفَقَد وعيه بذاته وعجز على إقامة عدله المزعوم والمتناثر في أحكامه وتقاليده البالية، لكنّه يعرف ضمنيا أنّه سيسترجعه عندما تزداد غيرة الحاقدين عليه.

فهذا الغريب الذي يزعم التطوّر، يتحامل على الإسلام ويتصرف بعنجهية اتجاهه متجاهلا عدله الإلهي، ومتفاخرا بقيمة عدله الوضعي، فثار المسلم في وجه هذا التوبيخ ورجع لذاته واغترف قوّته من عدل الإسلام الأصيل داعيا إلى الوعي العالمي والانسان الكامل للقضاء على قهر الغريب.

ت- تغطية المسلم:

إنّ عجز الإسلام عن المواجهة النديّة للغرب، جعلته محروما وقليل الشأن سياسيا، فاستعمل الشغف الهائج واعتمد على المنتسبين إليه في الداخل والاستفادة من تناحر أعدائه في الخارج. شحن المصلحون السياسيون الإسلامَ في هذا الاتجاه، فتخلص من الاحتلال الأجنبي ودافع عن مكانته في المعمورة مستعملا شتّى الوسائل لتحقيق هذه الغاية: استرجاع ثرواته، الدين، الاشتراكية والتطور، لكن كان أخطر المتربصين بالإسلام خصومٌ ظهروا في ثنايا أنظمته السياسية تتاجر بالكبرياء من خلاله.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

4- مقومات أمّة الإسلام:

إنّ مقومات أمّة الإسلام ثلاثة أهمّها العامل الثالث.

أ- العرق والوطن: يمكننا الادّعاء أنّ لا العرق ولا الوطن من خصائص المسلم بحجّة انتمائه لأعراق وأوطان مختلفة، لكنّنا مخطئون لأنّ المسلم منغلق في هذه الثنائية ولا مجال للخروج منها لأنّ العربي مختلف عن البربري والتركي والزنجي. لكن أوجدت الأعراق المنتسبة للإسلام رابطا مشتركا على المستوى العاطفي الذي وحدهم إنسانيا وميّزهم عن باقي الأمم: فهي شهوانية رغم دعوتها لمجاهدة النّفس، وفردانية رغم حميّتها الجماعية، وتحاول التوفيق بين مطالب الأنا ومراسيم مشرّعيهم.

يجد المسلم في كل وطن ينتمي إلى الإسلام جوّا عائليا يوحده بغيره من المسلمين والمنتسبين لهذا الوطن، قد تختلف العادات والحقوق والسلطة، لكن يبقى المسلم دوما أخا في وسط إخوانه الأجانب لأنّهم يمتلكون جميعا حنينا لماض نابع من المصدر نفسه ويتطلعون بشغف لعولمة فاعلة لرؤيتهم.

ب- الأمّة الإسلامية: تضمّ الأمّة الإسلامية المسلم بين جناحيها، فيشعر بالحاجة إلى الانصهار فيها والتواصل مع أمثاله في المقاهي، والحمامات المغربية، والمخمرات الحديثة، وعند تاجر صديق، وفي الولائم والسهرات والاحتفالات، وفي الأماكن العامّة.

يملّ المسلم عندما يتواجد وحيدا أمام نفسه في مواجهة تجارب الحياة. والأكثر حظا من يشغل وظيفة نبيلة في وسط، يشكل الأطفال مجموعات وتمكث النّساء في البيوت. نحبذ الاجتماعات والتظاهرات والتجمعات ونشعر بالفضول نحو الولائم. هل هذا هو الانتماء للأمّة الذي يتميّز به المسلم؟ ليس الأمر بهذه البساطة.

ولنترك جانبا هذا المظهر الخارجي للأمّة لكي نكتشف مظهرا آخر أكثر أهمية. يعتبر المجتمع الإسلامي بحالة جيّدة بفضل صحته المعنوية التي تجعل منه مجتمعا مسالما

يُدين الجريمة، ويُحرّم الآفات، كما أنّ الاختلاف واضح بين المرأة والرجل ممّا يستبعد الانحراف، فوفاء المرأة لا شك فيه، ووقار الرجل الراشد واضح على الفتى الطائش، واحترام الوعود صفة ممدوحة فيه، بالإضافة إلى كرم الضيافة ومساعدة الغير. نجد هذه الفضائل أينما ذهبنا في العالم الإسلامي باستثناء المسلم المنحرف والمنغلق داخل مصالحه الضيقة.

ت- الإيمان والمثالية:

إنّ إيمان المسلم يقوده حتما إلى تحقيق مثاليته، لأنّه صادر من وسط منحه الإسلام القدرة على تطوير ذاته، قد ينتمي المسلم لهذا العرق أو ذاك الوطن، لكنّه ينعم بواحدة من المظاهر المتعددة للإسلام المشترك، كل هذا يؤدي بنا حتما إلى الاقتناع بأنّه يتكيف جيّدا في وسطه الإسلامي.

يدفعه إيمانه إلى اتباع خطى أسلافه، متخذا من الإسلام مصدرا ومدعوّا إلى المشاركة في تطوّره سعيا لتحقيق أسعد الغايات. يجب ألاّ تنزعج النّفس الإسلامية، الأكثر عقلانية، من واقع الإيمان بالله واليوم الآخر لأنّ العلوم الحديثة نفسها تهيئ لأوهام تلامس الخيال الموغل في لاعقلانية مفرطة.

إننا نؤكد إذن على أنّ المثالية الإسلامية بإمكانها مسايرة التطور الحتمي ومواءمة الحياة الدنيا، أمّا ممارسات العامّة فتدخل في إطار المحاسبة الفردية التي تؤثر على الروح أكثر من تأثيرها على الجسد، أمّا الأمم المتطورة اليوم فقد استبعدت الدين من الحياة بصفة نهائية وحدّدت دوره.

5- الإنسان الإسلامي:

عند اطلاعنا على الحضارات الإنسانية، نلاحظ أنّ أفضل إنجازاتها تمثّلت في بناء إنسان غني بفردانيته ويصبو للعالمية وفق معاييرها، وأبرز مثال على ذلك الإنسان في الصين، وفي الهند، وفي اليهودية، وفي اليونان القديم، وفي المسيحية، وفي الإسلام، أمّا الإنسان في الغرب فيشمل كل من أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفياتي.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

في الإسلام أفرز الإنسان هويته الخاصة، حتّى وإن انحصرت اليوم إلاّ أنّها أقامت إنسانا أصيلا، ذا مكانة في العالم مثله مثل غيره، لكنّه يبقى محافظا على شخصيته وإن لم يستعمل بحرية قدراته المنبثقة من العقيدة. خذل التاريخ المسلم من الداخل والخارج على حدّ سواء، لكنّه لم يتنازل أخلاقيّا لأيّ كان، قد يفتقد ممارسته للديمقراطية، الموجه الجديد للإنسانية، في سعيه لتحقيق ذاته.

لم يحقق الإنسان المذكور آنفا ذاته إلاّ بفضل احترامه للضمير وهذا ما يتجلى لنا واضحا عند الإنسان المسلم الذي نعم بهذا الاحترام المقدس ومنحه لأمثاله. يدعو القرآن إلى التحرّر في كل ثناياه، ويأمر به للشعوب الأخرى، فالتشدّد لا يقضي على حرية الإرادة لأنّ الإنسان في نهاية المطاف لا يحاسبه سوى الله.

لقد سمحت مرونة الشريعة للأفراد بالتطور بأريحية في وسطهم الاجتماعي والاهتمام بإنقاذ الظاهر، لكن تيّاران أثرا سلبيا عليهم: تيار المشاغبين الذين أرادوا القطيعة مع الظاهر والحد من الفاعلية، وتيار المتطرفين الذين حصروا الظاهر في فاعلية الروح.

لا أحد يستطيع أن ينكر ظهور الأجناس واللغات، كذلك الحال بالنسبة للذهنيات التي برزت بعد مرحلة الخمود، فهي ظاهرة تخضع أيضا للتطور، فالأمّة الإسلامية مثلا ترسخت في مرحلة ما بفضل ظروف ساعدت النبي ﷺ بالارتقاء بالإنسان البدوي.

والمسلم حامل الأمّة الإسلامية اليوم، يعتبر أولا و قبل كل شيء، كائنا بسيطا في ذاته، طبيعيا في إنسانيته، محترما في مظهره، تعرض كثيرا للعنف من الخارج، لكنّه متعطّش لتحقيق ذاته، فلابد إذن من تهيئته لأنه مشوش، و لن يتأتى ذلك إلاّ عن طريق الوعي الذي سيسترجع به شأنه و يتصالح مع الحضارات الأخرى بفضله.

قائمة المراجع:

L'Islamité, Nabhani koribaa, sciences sociales Panorama, revue trimestrielle, N°03, avril,1980, O.N.R.S. Algérie.

---

[1] - L'Islamité, Nabhani koribaa, sciences sociales Panorama, revue trimestrielle, N°03, avril,1980, O.N.R.S. Algérie.

2- ولد كربيع النبهاني بأولاد جلاّل ولاية بسكرة (الجزائر) عام 1918، تلقى تعليمه الابتدائي هناك وأكمل تعليمه الثانوي بالجزائر العاصمة، ثمّ في باريس بثانوية لويس الأكبر أين نال شهادة البكالوريا. عاد إلى الجزائر بأمر من والده الذي أراده أن يكون تاجرا في التمور، ولكنّه فضّل الدخول إلى الجامعة، فنال الليسانس في الفلسفة، واشتغل عشر سنوات في بيع التمور، ثمّ عاد إلى فرنسا ليشتغل في المطبعة الفرنسية. نال شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة السوربون سنة 1967، عمل أستاذا للفلسفة في جامعة الجزائر إلى أن وافته المنية عام 2005.

أهم مؤلفاته: **حكماء الواحة الأربعة** باللغة الفرنسية، حاز على جائزة المثقفين الفرنسيين سنة 1953. ديوان شعر بعنوان **رثاء العربي** باللغة الفرنسية، نال جائزة الأكاديمية الفرنسية سنة 1954، وآخر مؤلفاته كان **عمر الخيام: رسول إيران العالمي** والذي شهد نجاحا كبيرا.

[3] -Essence épicurienne.
[4] - Anthropologie.
[5] -Phénoménologie.